قراءة جديدة في شعر الزبيري
(الرؤى والسياقات)

د. عبد العزيز الحاج مصطفى

اليمن _ جامعة ذمار_
كلية التربية

الخلاصة:

يعد الشاعر محمد محمود الزبيري المولود في صنعاء سنة ١٩١٨م أحد الشعراء الإحيائيين الكبار الذين مثلوا امتدادًا متجددًا للشعر العربي في عهد فحولته. وقد جاء شعره على سياقات ثلاثة؛ مثَّل كل سياق منها مرحلة من مراحل حياته وهذه السياقات هي:

١- سياق النشأة والتكوين: و فيه تكونت شخصيته، ونضجت ثقافته، ووضحت لرؤيته طبيعة المرحلة التي كان يعيشها.

٢- سياق النضال والثورة: وهو امتداد لسياق النشأة والتكوين. و قد تمكّن اليقين الثوري من نفسه، وآمن بقدرات شعبه، وبقدرته على التغيير. فباشر ذلك من خلال مواقف ثلاثة: الموقف الأول: يتمثل في المواجهة والتحدي. والموقف الثاني: في الإيقاظ والتحريض. والموقف الثالث: في الفعل الثوري. وكانت نظرته إلى وحدة شعبه أقوى من الخلافات، وهي نظرة يدعمها اليقين الثوري الذي كان يتسلح به، والرؤية الصحيحة التي كان يتحلّى بها، والتحرر الذي كان ينشده، والذي دفع حياته ثمنًا له بفعل رصاصات غادرة بينما كان يؤدي واجبه الوطني في بعض جبال اليمن وذلك سنة ١٩٦٥م.

٣- سياق الغربة: وقد تجلّت مسألة الغربة عنده في رحلات ثلاث. وقد كانت أولاها رحلته إلى عدن، وقد مثلت في حينها رحلة البحث عن الذات. إذ إنه بعيدًا عن السلطة استطاع أن يكون القاعدة النضالية الأولى لأحرار اليمن. و ثانيتها رحلته إلى باكستان، وقد

بدأت عنده في أعقاب فشل ثورة ١٩٤٨م. حيث اتسم شعره بالحنين، والألم والشوق لمسقط الرأس. و ثالثها الرحلة إلى مصر بعد قيام ثورة ١٩٥٢م وقد عاد فيها إلى النضال, والانتصار للقضايا العربية، وقد ظل في إطار ذلك السياق إلى أن قامت الثورة اليمنية سنة ١٩٦٢م فقفل عائدًا إلى أرض الوطن بعد اغتراب دام ثمانية عشر عامًا.

قراءة جديدة في شعر الزبيري
(الرؤى والسياقات)

يُعَدُّ المرحوم محمد محمود الزبيري المولود في صنعاء سنة ١٣٢٨ هـ, والموافق ١٩١٨م أحد الشعراء الإحيائيين الكبار في اليمن, الذين مثلوا امتداداً متجدداً للشعر العربي في عهد فحولته[١], وأحد المناضلين الأعلام الذين قدموا أرواحهم فداءً لأوطانهم. وقد اكتسب لقب أبي الأحرار بجدارة ؛ بما قدمه لوطنه من تضحيات هائلة, وبما سنّه للأحرار من بعده من سنن خالدة, لا تزال كالمصابيح تضيء طريقهم, وقد جاءت سنوات عمره القصيرة نسبيًا, وقد بلغت سبعةً وأربعين عامًا حافلةً بالعطاء, وقد حكت كل دقيقة منها دقات قلب ما عرف الراحة أو السكون لحظة, إلى أن سكن سكونه الأخير في

(١) ينظر: رحلة في الشعر اليمني: ١٣٤.

الحادي والثلاثين من آذار (مارس) سنة ١٩٦٥م[١], بفعل رصاصات غادرة, وقد كان يؤدي واجبه الوطني في إصلاح ذات البين, بعد أن كادت المحنة تحيق باليمن في ذلك الظرف الصعب, مما ألب عليه المناوئين والشانئين من أنصار العهد البائد. فدفع حياته ثمنًا لمناوأتهم والأخذ على أيديهم.

وقد جاء شعره على سياقات ثلاثةٍ, مثّل كل سياق فيها مرحلةً من مراحل حياته. وهذه السياقات هي:

١- سياق النشأة والتكوين:

وقد تميّز هذا السياق بميزة خاصة؛ تكونت فيها شخصيته, ونضجت ثقافته, وأصبح فيها على سنن لاحب من الاستقامة والعدل في شخصه, وفي سلوكه, وفي تعامله مع قضايا مجتمعه, بما عرف عنه من مواقف ثابتةٍ, في مواجهة النظام القائم حينئذٍ. وصورة ذلك يرويها الشاعر نفسه. يقول: ((حينما قدمت إلى اليمن من مصر حوالي عام ١٩٤١م, انهالت علي نصائح الأصدقاء والأقرباء, بأن ألزم الصمت والخمول, وأغض الطرف عن كل ما ألقاه من شرور,وأعتكف في عقر داري, ولا أتحرك منه إلا إلى (المقام الشريف) أو أنصار المقام الشريف. وقيل لي: إذا أردت أن تعيش سعيدًا مع أهلك, وأن تنال المرتّب والوظيفة فلا بد أن تتّبع هذه

(١) ينظر: المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيري: ٨.

التعاليم, أما إذا رفضت هذه التعاليم فلا تنتظر غير بلايا ورزايا ومحناً متلاحقةً))[1]. وقد كان ردّه على ذلك العرض استعلاءً واستخفافاً بأولئك الذين ليسوا أكثر من دود في القبور, أو من حملة نير الاستعباد، أو دون ذلك ممن خلق الله الذين من وجهة نظره ليسوا أكثر خطًّا من الحمير. جاء ذلك في قصيدته التي أنشأها تحت عنوان مصرع الضمير، والتي من أبياتها[2]:

مُت في ضُلوعِك يا ضمير ... وادفُنْ حياتَك في السعير
إياك والإحساس فالدّ ... نيا العريضة للصخور
لا تطمئنَّ إلى العدا ... لة فهي بهتانٌ وزور
لا تُنْسَبَنَّ إلى الثقا ... فة فهي داعية الثبور
لا تنطقنّ الحقَّ فهو ... خرافة العصر الغرير
لا تطمحنَّ فلست أكثر ... في الحياة من الحمير
لن ترتدي غير اللجام ... ولن تذوق سوى الشعير

وهكذا إلى آخر القصيدة, وقد بلغت ثلاثين بيتاً, وجميعها يدلّل على نظرته لمجتمعه يومئذٍ, وعلى ثقافته الشخصية, المتنورة والعارفة وقد كان قادمًا لتوّه من رحلته العلمية إلى مصر وقد قضى فيها قرابة عامين. عبَّ فيها من الثقافة المعاصرة ما أهله لمثل هذه الرؤية

(١) صلاة في الجحيم: ٤٧.
(٢) صلاة في الجحيم: ٤٧ – ٤٩.

المسددة. وواضح أنه منذ البداية اعتمد على الأدب في مواجهة الفساد. يدل على ذلك قوله: ((كنت أحسّ إحساسًا أسطوريًا بأني قادر بالأدب وحده على أن أقوّض ألف عام من الفساد))[١]. وكذلك قوله:((وشعري أو معظمه تطغى عليه السياسة سواء ما كان منه مدحاً, وما كان رثاءً, وما كان ثورة, أوما كان شكوى, وما كان غير ذلك))[٢].

ولم يأت اعتماده على الأدب عبثاً, كما لم يأت من فراغ. بل جاء كل ذلك بسبب من تفاعل فني. يقول: ((تفاعلت نفسي مع الشعر, وتفاعل معها, ونما خلال نموها, فكانت طفولتي طفولته, وشبابي شبابه,ونضجي نضجه, وكان يسير جنبًا إلى جنبٍ حيث أسير))[٣]. وقد كان مفتاح شخصيته, والفاعل في تكوينها ((الأصالة التي عشق بها الحرية وضحّى من أجلها))[٤].

وقد تميّزت هذه المرحلة ببعدها الاجتماعي والشعبي وبالرؤية الواعية لحقيقة الواقع اليمني. وقد كان جماع الرأي عنده أن هذا الجيل لا ينهض ((إلا إذا نجح في أمور ثلاثة)):

الأول: أن ينضج فهمه, وانتماؤه لروح شعبه, وروح العصر القديم,الذي ينتمي إليه شعبه نضجًا تامًا.

(١) ثورة الشعر: ١١.
(٢) أعلام الأدب العربي المعاصر: ٦٦٣.
(٣) أعلام الأدب العربي المعاصر: ٧.
(٤) المجاهد الشهيد : ٧٩.

الثاني: أن يتغلغل فهمه إلى روح الحضارة الحديثة لا أن يعيش على السطح منها.

الثالث: أن تكون عنده نزعة روحية ترتفع به فوق مستوى أهوائه الذاتية ومنافعه المادية))[1], وكانت نظرته إلى الشعب كما جاءت في شعره[2]:

الشعب أعظم بطشًا يوم ... *من قاتليه وأدهى من دواهيه*

يغفو لكي تخدع الطغيان ... *وكي يجنَّ جنونًا من مخازيه*

وكي يسير حثيثًا صوب ... وكي يخِرّ وشيكًا في مهاويهِ

ومن هذا المنطلق يأتي إيمانه بحقه, وبالطاقات الكامنة في أوساط شعبه يقول بهذا الصدد[3]:

آمنت أن لنا حقاً و أن لنا ... *سينهض من كابوسنا*

وأن في ظلمات الغيل مأسدة ... *غضبى على كل خوان وظلّام*

وأنّ في الشعب أبطالاً وأنّ به ... قوماً يعدُّ الفتى منهم

وعليه نكون أمام رؤى ثلاث مما أملى عليه فكره الثاقب. وهذه الرؤى هي: حقه, والطاقات الكامنة في أوساط شعبه, وقدرة شعبه على التغيير مهما كانت المصاعب جمة.

---

(١) ثورة الشعر: ١٣ – ١٤.
(٢) صلاة في الجحيم : ١٢٥.
(٣) ديوان الزبيري: ١١٠.

وكثيراً ما كان يتحوّل عنده همه الاجتماعي إلى همّ وطنيّ عام من حيث الرؤية والتشكيل, ومن حيث الحقيقة والواقع وقد رصد له جهده وأفنى في حبه عمره. يصور ذلك قوله[1]:

وطني أنت نفحة الله ما *لا عن قلبي و لا عن لساني*
صنع الله منك طينة *وبرى من شذاك روح بياني*
هاك ما قد طهَّرتُه لك في *وما قد صهرتُهُ في جناني*
شعلة القلب لو أذيعت *مَرَّ عبر الأثير نصل يماني*

وعلاوة على ذلك فالوطن عنده المشكاة الذي صدر عنها ذلك الألق الرائع الذي يخلب الألباب, والقدرة الفاعلة, بل والمصدر الذي يصدر عنه كل إبداع.

قال[2]:

الشاعرية في روائع سحرها *أنت الذي سويتها وصنعتها*
ما لي بها جهد فأنت *بدمي وأنت بمهجتي أودعتها*
وقفت لساني في هواك غناءها *فإذا تغنّت في سواك قطعتُها*

وعليه ((يعد شعر الزبيري- باتفاق النقاد - أوّل تحوّل في الشعر اليمنيّ المعاصر نحو الأهداف الوطنية. وهو بذلك ينتمي إلى جيل

(١) صلاة في الجحيم: ٨٤ – ٨٥ .
(٢) صلاة في الجحيم: ٥.

رواد النهضة, الذين تشكلت جهودهم بتأسيس مجلة الحكمة سنة ١٩٣٨م))[١]. وقد كتب عليه أن يعاصر ((أحداثاً هامة في التاريخ اليمني المعاصر))[٢], وأن يشارك في مسيرتها التاريخية, ويرسم لها صورة بشعره. وقد كانت نظرته إلى حق الشعوب بتقرير المصير تجلَّ وترتفع إلى ما هو أعلى. قال[٣]:

ومصير الشعوب كالحق لا يبنيه بانٍ بوهمه
والملايين لا تعيش على الشكِّ و لا تستقرّ فوق
وشعور الجمهور أقوى من العقل ومن حكمه ومن حكمائه

٢- سياق النضال والثورة:

وقد كان شعوره بالانتماء لشعبه, وبأصالة ذلك الشعب يؤهله إلى الدخول بالمواجهة المباشرة مع الطاغية الذي كان ما يفتأ يمارس كل أشكال الاضطهاد البشري. وقد عبر ((عن هذه المرحلة الجديدة بقصيدة (كفر وإيمان) التي تجاوز فيها عوامل اليأس وكفر

(١) شعر الزبيري بين النقد وأوهام التكريم: ١٠.
(٢) المصدر نفسه.
(٣) المجاهد الشهيد: ١٥٤.

بها,واستعاد (اليقين الثوري) وآمن بكل ما يبعث الإيمـــان ويعيـد الثقة إلى النفوس وفيها يقول:

كفــرت بعهد الطغــاة البُغــاة وما زخرفوهُ و مــا زيّفــوه
وأكبرت نفسي عن أن أكــو ن عبــداً لطاغيــة توّجــوه
وعن أن يرانيَ شعبي الــذي يُعَـذّب عونًا لمــن عــذّبوه

ومنها:

أنا ابن لشعبي أنا حقده الـــ رهيب أنا شــعره أنا فـــوه
أتعنــو لطـــاغية جبهتــي؟ فمن هو؟ مــن أصــله؟ مــن

وهذه الأبيات وهي من قصيدة طويلة تدل على عمق الهوّة التي كانت موجودة بين الشاعر النظام الحميــدي, وعلــى الموقــف الصــارم والصلب الذي كان يتسلح به في مواجهة ذلك النظام. وهو موقف فيه أصالة, وفيه دليل على ما كان بين الشاعر والطاغية من قطيعة,وقد جاء سياق ذلك في مواقف ثلاثة, نوردها تباعاً. وهذه المواقف هي:

الموقف الأول – المواجهة والتحدي:

(١) الزعيمان الزبيري ونعمان: ٣٩ – ٤٠.

وقد كان إطار ذلك – عنده – ما يسمّى بـ(جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) وقد كانت مدخلاً لمواجهة تتخذ من ﴿ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥] وسيلةً لكبح جماح الطاغية, ولكفّ أذاه عن شعبه. إلا أن الخطوة الأكثر جرأة تميزت في تلك الخطبة الذائعة الصيت التي ألقاها سنة ١٣٦٠هـ وقد كان عائدًا لتوّه من مصر. ذكر المعلمي قال: ((وفي جمعة من شهر ذي الحجة عام ١٣٦٠هـ حضر الإمام للصلاة في الجامع الكبير في صنعاء, فوقف الأستاذ الزبيري خطيبًا, وواجه الإمام بموقف انتقاديّ شديد اللهجة, وضمن خطابه المنطلق النظريّ لبرنامج الجمعية في إنكار حياة البؤس والشقاء التي يكابدها الناس, ووجوب إصلاح أحوالهم بمقتضى جوهر الدين, وما يحتمه على المسؤولين من الواجبات))[١]. وقد كانت النتيجة أن ((سيق الزبيري وزميله أبو طالب[٢] إلى سجن يقع في منطقة نائية هي الأهنوم))[٣]. إلا أن ذلك السجن لم يزده إلا إصرارًا وتحديًا, وقد كان يدرك ((أن اليقين الثوري هو الأساس للثورة العميقة الصادقة))[٤]

(١) الزعيمان الزبيري ونعمان: ٣٩ – ٤٠.
(٢) ينظر: الزعيمان الزبيري ونعمان: ٢٤. وأبو طالب أحد خطباء المساجد في صنعاء وقد منعه الإمام من الخطابة بعد أن وجه انتقادات إلى حكمه.
(٣) الزعيمان الزبيري ونعمان: ٢٤.
(٤) ثورة الشعر: ١٣.

وأن ضريبة ذلك المعاناة والألم, جاء في شعره[١]:

لم تـذق هدأة مـن النـوم لم يجـد هدنة من الهمّ بـالي
لم أنل جـرعة بغيـر كفاح لم أسغ لقمة بغير نضـالِ
لم أسر خطوة على الأرض إلا كان فيها أحـبولة لاعتقـالي

وهذه المعاناة جعلت منه عليماً بمواقع النضال , وبحتميتها , وبمـا هي عليه من أهمّية , وقد مثّلت المواجهة الخيـار الوحيـد عنـده. قال[٢]:

لِنَمُتْ أو نَعِشْ علـى الأرض رًا ولا عاش من يسيغ الإهانة
إن شـعبًا يرضـى الحيـاة لا يسـاوي في قيمـة سجّانه
وحـياة تصـان بالهـول لالِ ليسـت خليقـة بالصيانة

وعليه فالشعب – عنده – ((هو الذي ينشد الحرية, وهو الذي يجـب أن يدفع ثمنها كاملاً غير منقوص))[٣], وهو المؤهل لحمـل تبعـات ذلك.

(١) المجاهد الشهيد: ١١٤.
(٢) المجاهد الشهيد: ٨٨.
(٣) ثورة الشعر: ١٠٦.

وبديهيّ أن تقوم المواجهة على أساس من هذه الرؤيـــة التنظيريـــة التي ترى في الشعب المعادل الموضوعي في معركة الحياة والمـــوت بين الشعب وجلاديه وهي مسألة تعد غاية في الأهمية , وقد جعلـــت الطريق لاحبًا أمام جيل الرواد من المناضلين الشرفاء الـــذين جعلـــوا من أجسامهم جسرًا لإخوانهم الذين نفذوا العبور إلى الموقع المتقدم في السادس والعشرين من أيلول (سبتمبر) ســـنة ١٩٦٢م. و كـــان حادي ركبهم يومئذ أبو الأحرار المجاهـــد الشـــهيد محمـــد محمـــود الزبيري رحمه الله. وقد كان يرصد حركة الجماهير, ويؤصلها,ويعمل من أجل إدامتها, وإظهار ما فيها من كمون القوّة الواعدة.

يعبر عن ذلك قوله في انتفاضة قبيلة خولان[١]:

الملايين العطـــاش المشرئبّـــة	*بدأت تقتلع الطـــاغي وصحبه*
سامها الحرمان دهراً لا يرى	*الغيـــث إلا غيثـــه والسُـــحب*
لم تنل جُـــرعةَ مـــاء دون أن	*تتقاضاه بحـــرب أو بغضـــبه*
ظمئت في قـــيده وهي تـــرى	*أكلـــه مـــن دمهـــا الغـــالي و*
ليت شعري أي شـــيء كـــان	*شاه في دُنياه لو هادن شعبه*
هاهو الشعب صحا من خطبـــه	*بينما الطغيان يستقبل خطـــبه*

(١) ثورة الشعر: ٤٩.

الموقف الثاني – الإيقاظ والتحريض:

في موقفه الجديد–الإيقاظ والتحريض–يرتكز على موقفه الأول المواجهة والتحدي. إذ إنّ المواجهة تقتضي الإيقاظ بصورة عامة,وكذا التحريض. والمطلع على ذلك يجده واضحاً. وإن كانت قصائده الإيقاظيه قد تضمّ الجانبين معًا, ومثلنا على ذلك قصيدته التي جاءت تحت عنوان: (صرخة إلى النائمين)[1] وهي من قصائد ديوانه (صلاة في الجحيم) وتبلغ ستة وسبعين بيتًا, وهي بمثابة خطاب مباشر بينه وبين اليمانيين بعامة. وقد جاءت في أربعة مقاطع مختلفة الطول,تكاد جميعها تدور حول فكرتي الإيقاظ والتحريض. وهي من حيث الواقع (أطول نشيد ثوري للزبيري)[2] بعد (رثاء شعب) وجهه إلى فئات الشعب المختلفة, وذلك من خلال رؤى ثلاثة: (الصيحة إلى النائمين),و(الحديث عن الماضي المشرق), و(الحاضر المظلم), الذي هدف الشاعر إلى تعريته وفضحه. وقد ابتدأ المقطع الأول بقوله:

ناشدتك الإحساس يا أقلام	*أتزلزل الدنيا ونحن نيام*
قم يا يراع إلى بلادك نادِها	*إن كان عندك للشعوب كلام*
فلطالما أشعلت شعرك حولها	*ومن القوافي شعلةٌ و ضرام*
لما أهبت بها تطارد	*ضحكت عليك بجفنها الأحلام*
وصرخت في أسماعها	*لكن كما يتحرّك النوّام*

(١) صلاة في الجحيم: ٥٩ – ٦٦.
(٢) المجاهد الشهيد: ٨٢.

وفي هذه الأبيات – وهي قليلة – قياسًا على طول القصيدة – تركيز مباشر على الإيقاظ, وقد جاءت الألفاظ (نيام ونومها والنوّام) لتدل على ذلك. وكذلك الألفاظ (أشعلت وشعلة وضرام) لتدل على عنفوان الموقف الثوري مع ضآلة الاستجابة لدى المعنيين وقد كانوا لما يزالوا بعد يتململون في سباتهم العميق. ولعلّه للسبب ذاته توجه بالحديث المباشر عن الأحوال اليمنية بعامة. ولكن بالانتقال من صيغة المفرد إلى صيغة الجمع وبأسلوب من العتاب واللوم غير المباشر. قال:

نخشى سيوف الظلم وهي ... ونقدّس الأصنام وهي
وتذلّ أمتُنا لفردٍ ... لا تستقاد لمثله
نسدي له أموالنا ... ويرى بأنّا خائنون
نبني له عرشاً يسودُ ... سجناً نهانُ بظلّه
تحنو الرؤوس له خُشوعاً ... وتنوء من أصفاده
كم سبّحته ألسنٌ ... منه مذاق الموت وهو
كم من أب واسى الإمام ... ماتت جياعاً بعده
يمتصّ ثروة شعبه ... جوعاً ليسمن آله
طغاته قدسيّة نزلت ... البركات و الآيات و
عمل الورى في رأيه كفر ... يأتيه , فهو شريعة و

في هذا المقطع وهو لا يزيد على عشرة أبيات تحتشد معانٍ غاية الأهمية للتحريض والإيقاظ الذي هدف إليه. حيث التناقض الصارخ والانكسار الحاد في النسق الموضوعي, الذي يفتقر إلى الأدب العام. فهنا نلاحظ: أن (نبني له عرشًا) يقابلها (يبني سجنًا) وأن (نخشى ونقدس ونسدي) يقابلها عدم العرفان بالجميل, وعدم الإذعان للحقّ في: (يرى بأنا خائنون لئام) وفي :(حطام ولئام ونضام والأقدام وزؤام والأيتام) وقد جاءت خواتيم دالّة على عمق المأساة . وهي تثير زوبعة من التساؤلات حول حجم المفارقة بين الاستكانة التي عليها الجميع , وقد دلّت عليها صيغة الجمع , التي دلّت عليها الأبيات العشرة, وبين ما يجب أن يكونوا عليه من فعل ثوريّ مباشر, وهو ما افتقروا إليه. ومن أجل التغيير انتقل في المقطع الثاني والثالث إلى محاولة بث الروح في الشعب بعامة من خلال تذكيره بأمجاده الغابرة. فـ(قحطان أصل العرب), (كانت سيوفهم تؤدب كل جبار), و(كانوا الأباة وكانت الدنيا لهم), وقد (نزلوا بيثرب والعراق فشيدوا ملكاً كبير الشأن), (وهم الأولى اقتحموا على إسبانيا أسوارها), (وهم الأولى البانون عرش أمية), ويقابل ذلك ما آل إليه أمرهم. فـ(أبناء قحطان عبيد بعدما عبدتهم الزعماء والحكام), وهم (منذ تهاونوا بحياتهم عاشوا وهم أيتام). وكل ذلك يجعله يخلص إلى استفهام استنكاري من خلال: (أحمير فوق الورى), و(أين السعيدة),

و(أين القصور الشمّ), و(أين بناتها الأقيال), و(أين البحار من السدود), و(أين السلالة من معين وحمير). وهو من خلال ذلك يريد استنهاض الهمم ليتأسّوا بالأجداد, وليعودوا إلى الحياة من جديد, وليتخلصوا من ذلك الكابوس الثقيل, الذي ألقى بكلكله على صدورهم وقد كادت تختنق أنفاسهم من تحته, وقد عدموا حتى الحراك.

وفي مواجهة هذه الحالة تجاوز الإيقاظ موضوعاً, والتحريض مهمة إلى تعرية وفضح الفئة المنحرفة ((من حملة الأقلام المأجورة التي كانت تبيع شرفها ودينها للسلطة, فتطعن في الأحرار, وتغري بهم, وتشوّش مسارهم))[1] فقذف في وجهها عبارته الغاضبة, قال:

ومذبذبين تلوّناً لغتهم الحسنات و
قلنا ارفعوا الأسواط عن قالوا لنا لوم الإمام
تالله ما بهم الإمام و ولعوا بسوط المستبدّ و
باعوا الضمائر للمهانة تبتاع للحمل الثقيل
وإذا ثوت بين الضلوع قويت على حمل العصا

إلى أن يقول :

وسيندم المتزلفون ندامة يومَ تُحطَّمُ الأصنام

(١) المجاهد الشهيد: ٨٢.

وتعليقًا على ذلك يقول الأستاذ عبد الله البردوني: ((فهذا الفنّ الإيقاظيّ يتجاوز موضوعه ويندغم في التثوير, ويخلص منه إلى الهجاء السياسي, فتتلاءم ملامح الهجاء وسمات التثوير في وجه واحد هو وجه الإيقاظ. وهذا المزج هو الفكرة الأساسية الثانية التي دار حولها الشعر الإيقاظي عند الزبيري))[1] وهو عنده في هذه يلتقي مع الشاعر التونسي أبي القاسم الشابي في رومنسياته الثائرة[2]. وقد كان الشابي في هذه حمل الهمّ القوميّ في مواجهة جلاوزة الاستعمار الحديث. فاشتركا معاً في هذه الصفة وإن كان الزبيري أكثر خصوصيّةً وقد جعل من قضيته الوطنية القضيّة الأولى والأهم قياساً إلى القضايا الأخرى.

الموقف الثالث – الفعل الثوري:

وفيه انتقل الشاعر من القول إلى الفعل. وقد حوّل أقواله إلى أفعال ثورية رائدة , مثّلت القدوة في السلوك قولاً وعملاً وأهلته لحمل راية الجماهير ضد الإمام وحكمه؛ يقول الدكتور عبد العزيز المقالح: ((كان الشعر قبل أن يأتي شعراؤنا المعاصرون وسيلة تعبيرية ذات وظيفة جمالية. قد تكون ذات دلالة اجتماعية وقد لا تكون, قد تكون مديحاً لحاكم أو زلفى لأمير, وقد تكون مناجاة محب أو وصف بحيرة.

(١) من أول قصيدة إلى آخر طلقة, دراسة في شعر الزبيري: ١٣٣.
(٢) من أول قصيدة إلى آخر طلقة, دراسة في شعر الزبيري: ١٣٣.

أورحلة ناقة أو حديثًا عن بستان في الربيع. وقد تغيّرت وسائل التعبير في العصر الحديث, وأصبح جانب كبير من الشعر وسيلة الشعب بعد أن كان وسيلة الحكام, لكنه في اليمن كان كتابة بالأظافر, وتمرّداً بحدّ السيف. لقد ألغى الزبيري المسافة الممتدة بين القول والعمل عندما قال:

خرجنا من السجن شمّ الأنوف كما تخرج الأسد من غابها
نمرّ على شفرات السيوف ونأتي المنيّة من بابها
ونأبى الحياة إذا بعسف الطغاة وإرهابها))[1]

وهذه الأبيات من قصيدة جاءت تحت عنوان (الخروج من اليمن... السجن الكبير) وهي أول قصيدة ألقاها بعد هجرته إلى عدن. ويعتقد أنها ألقيت سنة ١٩٤٣م وقد أطلق عليها الدكتور المقالح اسم ((المارسيليز تشبيهًا لها بالنشيد الوطني الفرنسي))[2] وقد بلغت تسعة وثلاثين بيتاً. وهي من روائع الشعر العربي وأجوده. ((وفوق ذلك فإن حرارة مشاعرها, وصدق تعبيراتها ووضوح معانيها وواقعيتها قد تضافرت جميعاً على تمكينها من الآذان والقلوب))[3] وقد دلّ الشاعر على صدق مشاعره, لا سيما بعد خروجه إلى عدن.

(١) ديوان عبد الله البردوني: ٢٠/٢.
(٢) المجاهد الشهيد: ٧٧.
(٣) المجاهد الشهيد: ٧٨.

وهو في هذه ((ينتقل من الشعر الثوري إلى التنظير الثوري كما في كتابه (مأساة واق الواق) الذي دعا فيه إلى جمهورية ديمقراطية))[١] وقد كان اليقين الثوري عنده ((هو الأساس للثورة العميقة الصادقة))[٢] وقد مثل شعره ترجماناً لذلك في قصائده المختلفة ومنها قصيدته التي جاءت تحت عنوان (صيحة البعث) التي بلغت عشرين بيتاً والتي يقول فيها[٣]:

سجّل مكانك في التاريخ يا ... *فها هنا تبعث الأجيال*
هنا القلوب الأبيّات التي ... *هنا الحنان, هنا القربى, هنا*
هنا البراكين هبّت من ... *تطغى و تكتسح الطاغي*
لسنا الألى أيقظوها من ... *الله أيقظها والسخط*
شعب تَغَلّتْ من أغلال ... *حُرّاً فأجفل منه الظلم*

والمعروف أن الزبيري ألقى هذه القصيدة في أول اجتماع عام لحزب الأحرار اليمنيين بعد عام ١٩٤٣م في عدن[٤]. وقد كان رحمه الله خرج لتوّه من صنعاء. بعد أن رأى بأمّ عينه آهات شعبه وعذاباته, وهي مسألة كانت تشغله منذ أمد. فجعلته يقرب المسافة بين القول والفعل فيسهم في تأسيس حزب الأحرار اليمنيين, وفي لم

(١) قضايا يمنية: ١٥٦.
(٢) ثورة الشعر: ١٣.
(٣) صلاة في الجحيم: .
(٤) صلاة في الجحيم: ١١٦.

شمل رجال المهمات الصعبة من الأبطال التاريخيين الذين خرجوا معه إلى عدن وزاملوه في صنع القرار التاريخي الذي كان بمثابة اللبنة الأولى من أجل تحرير اليمن وكما قال في البيت السادس عشر[١]:

والحق يبدأ في آهات مكتئب ... *وينتهي بزئير ملؤه نقم*

فقد مثلت خطوته هذه التي ساهم فيها بتأسيس حزبه الجديد الصيحة الرائدة التي بشّرت بقرب الخلاص من نظام آل حميد الدين. ووضعت العجلة على مسارها الصحيح كما يقال, بعد أن كانت متعثرة أو متوقفة, بسبب عدم اقتران القول بالفعل في مناهضته النظام, وفي حركة إيقاظ الجماهير التي طال أمد ترقبها. وقد كان جنوبي اليمن وشماليه عنده سيان. وهو القائل[٢]:

متى تحلق في آفاقها (عدنُ) ... *متى تطير بنا نحو العلى اليمن*

وكانت نظرته إلى وحدة شعبه أقوى من الخلافات. يقول[٣]:

أرضنا حميرية الأصل ليست ... *أرض زيدية ولا شافعية*

(١) صلاة في الجحيم: ١١٦.
(٢) المجاهد الشهيد : ٨٥.
(٣) المجاهد الشهيد: ١٧.

وهي نظرةٌ يدعمها اليقين الثوري الذي كان يتسلّح بالعقل والمنطق, وبالرؤية الصحيحة لما يجب أن تكون عليه اليمن من انسجام وتآلف وتوحّد في مواجهة عقابيل الحياة وصعابها المستجدة. وعند هذه المسألة كان واضحًا حرًّا في كل ما ذهب إليه. وكانت أقواله وثائق يمكن أن يركن إليها في الحكم على منهجه الثوري, وعلى حركته الرائدة وقد توخّى بها خلاص اليمن. يقول[1]:

ولقد نزعت من الضمير هي صوت إيماني وصك
لو يصبغ الإنشاد لون لأنفت عن نغمي وعن
لو خالط الأنفاس شوب لحبست أنفاسي عن
تسعى القوافي لي فلا أحني قلماً إذا جاءت بغير
وأكاد أرفضها إذا (هي)[2] لم نزلت إليّ على رويّ

فالمسألة كما نرى مسألة ضمير, وهي صكّ جهاد مقدس لا يمكن العبث به, وكذا صوت إيمان يبعث الموتى أو من هم من أشباههم. وعليه فهو يرفض حتى القوافي التي لا تأتي منسجمة مع ذلك المنهج أو التي لا تنزل على روي فؤاده كما يقول فتتناغم معه, وتلقي

(١) صلاة في الجحيم: ٣٥.
(٢) صلاة في الجحيم: ٣٥. والأصل في الديوان: (وأكاد أرفضها إذا لم تكن) وهو على على هذه الصورة مكسور.

بظلالها على نغمه المحلّق الذي يتوخّى بعث الأمجاد, فضلاً عن استنهاض الهمم. وقد كان يرى في ذلك مهمة خاصة به قال[1]:

قوّضت بالقلم الجبار كانت بأقطابها مشدودة
فإن فشلت ولم أنهض الكبرى لشعبي ولم أظفر
فسوف أبني له مجدًا من العالي يبوئه في أرفع

ولا ريب أنه كان يدرك دور القلم في هذا المضمار, فأجل نباة الأمجاد كتاب؛ به ترسم معالم النضال, وبه توضح المناهج, أو ترسل الصيحات أو تبين المآثر, وأمضى سيوف الأمجاد قلم نابه يفتح المغاليق ويزيح العقبات, أو يهوي على الأصنام فيجعلها تتهاوى أمام ضرباته المدمرة. وقد كان لقلمه ذلك الشأن وقد قوّض أركان مملكة لم يكن لها أن تتقوض لولا ذلك النذير الصارخ الذي قام به من بعث وإيقاظ, وفعل ثوريّ محلّق, كان له فعل النار في الهشيم في ذلك الوقت.

٣- سياق الغربة:

ظاهرة الغربة في حياة الزبيري ظاهرة وجدانية تتعلّق بتكوينه العقلي والنفسي والروحي, وما كان عليه من مبادئ وأفكار, وأول هذه

(١) صلاة في الجحيم: ٧.

المبادئ والأفكار, موقفه من مجتمعه ومفارقته إياه, وقد كان يومئذ مديناً بالطاعة للإمام . ومن ثم خروجه عليه. وقد تجلّت مسألة الغربة عنده في رحلات ثلاث. وهذه الرحلات هي:

أولاً- الرحلة إلى عدن: وقد مثّلت في حينها رحلة البحث عن الذات إذ أنّه بعيدًا عن عيون السلطة, استطاع أن يلمّ شعثه وأن يكون القاعدة النضالية الأولى لأحرار اليمن. وأن يصدر إعلانه التاريخي الذي تجلّى في قصيدته (صيحة البعث)[1][45] وقد عُدّ خروجه إلى عدن وإنشاء حزب الأحرار بمثابة الانتصار الكبير الذي بعثت به الأمة من رقادها وبه خرجت ممثلة بأحرارها, تتحدى ظالما لا تبالي به غضب أم لم يغضب. وقد كان نوّه من قبل عن هذا الخروج بقصيدته الداوية التي جاءت تحت عنوان (الخروج من اليمن السجن الكبير)[2] التي أنشأها بعد رحلته إلى عدن. وفيها يدرك الباحث أن خروجه إلى جنوبيّ الوطن كان يعد من ناحية تكتيكية خروجًا موفّقًا,وقد خرجت مسألة معارضة النظام من السرّ إلى العلن, وأصبح الصوت مسموعًا في المحافل الدولية, وهو الذي كان يريده الزبيري يومئذ. وفضلاً عن ذلك فقد كان لانتقاله مع ((زملائه من الشعراء

(١) صلاة في الجحيم: ١١٥.
(٢) صلاة في الجحيم: ٥٥.

والكتاب إلى جنوبي الوطن دور في ترسيخ وحدة الاتجاه الثقافي. بل وفي إيقاظ هذه الروح وتأصيلها))[1].

والحقيقة أنه في عدن أنشأ غرر قصائده ومنها: (الخروج من اليمن السجن الكبير), و(صيحة البعث), و(صرخة النائمين), و(الحنين إلى الوطن), التي يذكر الأستاذ أحمد محمد الشامي أن ((الأستاذ هلال ناجي جعلها في مقدمة مختاراته من شعر الزبيري. والحق أنها بكائية مغمّسة بدموع الحبّ الوطني الرفيع متأججة بلهيب الحنين الإنساني الفطري ولوحة فنية رائعة الألوان حية النبضات فواحة الأريج))[2]. ومن أبياتها التي تحكي الغربة بأسلوب موجع قوله[3]:

آه ويح الغريب ماذا ... *من عذاب النوى وماذا*

كشفت لي غربتي سوءة ... *يا و لاحت هناتها*

كلما نِلْتُ لَذّةً أنذرتني ... *فتلفّت خيفةً مِنْ*

وإذا رُمْتُ بسمةً لاح ... *وطني فاستفزّني و*

ليس في الأرض للغريب ... الدمع ولا في السماء غير

ثانياً- الرحلة إلى باكستان:

بدأت هذه الرحلة في أعقاب الأحداث المأساوية التي أعقبت فشل ثورة ١٩٤٨م. وكانت بواكيرها الشعرية تلك التي جاءت تحت عنوان

(١) أوليات النقد الأدبي في اليمن: ٦٦.
(٢) المجاهد الشهيد: ٨٥.
(٣) صلاة في الجحيم: ٨٢.

(رثاء شعب) وعنها يقول: ((بدأت المرثاة إثر مصرع الثورة اليمنية الدستورية عام ١٩٤٨م وأنا مطارد في الهند, هارب من البشر, محظور على أن أمشي على ظهر الأرض))[١] وقد جاءت صورة ذلك في قوله[٢]:

إذا وقفت جَثا دهري فوقي و جَرَّت بيافوخي
وإن مشيت به ألقت على طريقي شباكاً من
تكتلت قوّة الدنيا في طعنةٍ مزّقت صدري وما

وهي كما نرى أبيات زخّارة بالمعنى, موحية ومؤثرة, تصوّر حال مطارد يكاد يشعر أن كل شيء ضده في هذه الحياة.

وفي باكستان عاش من سنة ١٩٤٨م إلى ما بعد سنة ١٩٥٢م بعد قيام الثورة المصرية. وشعره في تلك البلاد ((يشير إلى الأيام السوداء والليالي الحالكة التي قطعها في ذلك المغترب, وحيداً شريداً,تفجعه بين اليوم والآخر أخبار الوطن الدامي, ومآسي زملائه وهم بين سجين أو قتيل. وتضاعف من محنته الغربة اللسانية التي تعزله عن شعب باكستان. وأكبر من ذلك ضيق ذات اليد فهو لا يكاد يجد ما يقيم به الأود))[٣] ذكر الأستاذ عمر الأميري الذي كان سفيراً

(١) صلاة في الجحيم: ١١٩.
(٢) صلاة في الجحيم: ١٢١.
(٣) المجاهد الشهيد: ١٠٩.

لسورية في باكستان – وقد كان شاعرًا– أنه في ((أثناء تجواله في الليل في شوارع كراتشي شاهد شخصًا يحمل صندوقًا, ويبيع الأقفال والخردوات في أثناء الليل, فلمح في ذلك البائع الزبيري, فتقدّم إليه سائلاً ما هذا؟ فرجاه الزبيري أن يكتم الخبر, وقال له: إنه يتبع ذلك الأسلوب ليستعين به على العيش))[1] كما ذكر أيضًا أنه لما توسّط له عند الإمام أحمد من أجل العودة إلى اليمن. أجابه بقوله: ((إنه لا يستطيع أن يحظى بهذه الفرصة منفردًا))[2] وظل يكدح من أجل العيش, ويواصل نشاطه السياسي والأدبي بمنتهى العظمة والتألق وكان شعره يقدم الصورة لما كان عليه من عظمة وشموخ ففي القصيدة التي ألقاها بمناسبة العيد الأول لقيام باكستان والتي مطلعها[3]:

اليوم ولى بباكستان ماضينا *نحس وقع خطاه في مغانينا*

لم ينس همه الوطني, ولا تلك الأيام العجاف التي مرّت وقد طال سيف البطش أحرار اليمن. فقال معرّضًا بذلك[4]:

يوم من الدهر لم تصنع *شمس الضحى بل صنعناه*

(١) المجاهد الشهيد: ١١١.
(٢) المجاهد الشهيد: ١١١.
(٣) الصلاة في الجحيم: ٩٩.
(٤) الصلاة في الجحيم: ٩٩.

قد كوّنته ألوفٌ من وجمّعته قرون من
نسيج أضوائه البيضا دم سالت به مهج الطهر
فكل ثانية منه إذا عُدت سُلالة أُسْدٍ من

وقد كر فيض القريحة عنده في هذا المهاد الخصب, فتحوّل فيها من ثائر يمني يرى اليمن بمنظور يمني بحت إلى ثائر محلّق يتجاوز حدود اليمن إلى آفاق أكبر وأوسع, حيث غدا همّه الوطني مشتركًا مع هموم أخرى. قال[1]:

والناس إمّا كَادح معذّب بسعيه أو موثق مصفّد
قد عظمت خطوبهم و اتسعت فما لهم على علاجها يدُ
في كل شعب نكبة وكل أرضٍ فتنة, أو نار حرب توقد
والعالم اليوم بأيدي عُصبة لا عقل يهديها و لا معتقد
تؤلّه القوة والمال و لا ترى إلهًا غير هذا يعبد

ثالثاً – الرحلة إلى مصر:

كانت هذه الرحلة فاتحة خير وبركة للشاعر فبعد خمس سنوات من الإقامة في باكستان توافق حكومة الثورة المصرية على إيوائه فتواتيه الفرص من نقل أفكاره إلى شعبه عبر مذياع صوت العرب

(١) ديوان الزبيري: ١٥٥.

الذي كان ما يفتأ يحرض الشعوب العربية على الثورة ضد حكامهم. فاهتبلها وراح يوجّه نداءاته الثورية الهادفة[1] التي توجّه للشعب اليمني بخاصة, وقد كان لها صداها الواسع في ذلك الحين. أما شعره – وما أكثره – فقد كان موزعًا على اتجاهين:

الاتجاه الأول – العودة إلى النضال: بالموقف الفاعل وبالكلمة الموحية, وبالتصميم والإرادة, التي تتناسب وموقفه الثوري. من أمثال قوله[2]:

وأقسم بالله خير القسم	*وما صنته من كريم الشيم*
وما خبأت مهجتي من همم	*وما حملته يدي من قلم*
وما هَزّني من إباءٍ ودم	*وما اجتاحني من عميق الألم*
وما اكتسحت عزمتي من قمم	*لأرمي بقلبي في المزدحم*
وأمحو عن الشعب عار الصنم	*وأجعله عبرةً للأمم*

والأبيات هذه منتزعة من أولى قصائده في المرحلة القاهرية, وقد جاءت تحت عنوان (كفر وإيمان) وهي كما يقول عبد الرحمن طيّب جاءت ((بعد فشل الزبيري والنعمان في إقناع الإمام بقبول نظام الشورى, والنظر في مطالب الشعب العادله))[3] وفضلاً عن ذلك فهي

(١) ينظر: الزبيري ونعمان: ١٩٥، ١٤٥، ١٨٣.
(٢) المجاهد الشهيد: ١٣٦.
(٣) المجاهد الشهيد: ١٣٦.

ترسم صورة للمجاهد اليماني الذي توافر له من اليقين الثوري ما يجعله رائداً في مضماره, وقد تحلّى بأنبل الشيم وأرفعها وأكثرها قوةً, وقد جاءت مفعمة بالمشاعر الجياشة, فدلّت على ما فيه من كمون القوة, ومن التصميم الرائد. ويعضد ذلك قصيدته التي جاءت تحت عنوان (إلى الغاضبين علينا) التي يقول فيها[1]:

صهرتنا آلامه واتحدنا بروحه
منحونا الدنيا لكي ننبذ ونغضي عن ظلمهم
لو يبيعون ألف تاج بأسمال من شعبنا ما

وهذه الأبيات تأتي في السياق لتضع القضية اليمنية على المسار الصحيح وقد تلاحم أحرار اليمن تلاحمًا ضمن لهم الموقف الأكثر فاعليةً. إلا أن الموقف الأقوى يأتي في تلك القصيدة التي أنشأها تحت عنوان (خطبة الموت) والتي تزيد أبياتها على المئة, وفيه ينتصر لأحرار اليمن الذين هبوا في تعز وصنعاء وحاشد يواجهون الإمام, ويعلنون تصديهم له. وقد جاءت أبياتها في السياق, لتدل على ما في شعره من قيمٍ موضوعيةٍ فذةٍ, وقدرة جدلية على مواجهة النظام, وفضحه وتعريته.

(١) المجاهد الشهيد: ١٣٨.

قال[1]:

ليس في الدين أن نقيم علـى ونحـني جباهنا
ليس في الديـن أن نؤلـه ونغـو للسلطة
ليس في الديـن أن نقـدس ويمناه من دمانا رويـة
لعـن الله كـل ظـلم لعنـة في كتابه سـرمديـة

وحديثه عن الدين في هذا المقطع مسالة حيوية, فهي توضح الفهم الديني الصحيح الذي يتحلّى به الثوار في مواجهة حاكم يتسلح بالدين كذلك.

الاتجاه الثاني – الانتصار للقضايا العربية العادلة: وقد كانت تهزّ أعماق أعماقه فينتصر لها, ويتخندق معها. ومن ذلك تلك القصيدة الرائعة, التي أنشأها في ذكرى العدوان الثلاثي على مصر, والتي يصب فيها جام غضبه على انكلترا يقول[2]:

إلى لعنة الله انكلترا إذا شئت أو لعنات
فلن تبصري رحمة في السما ولن تجدي موئلاً في
وليس يفيدك أن تقدمي على الحرب أن ترجعي

(١) المجاهد الشهيد: ١٤٠.
(٢) ديوان الزبيري: ١٤٠/٢.

إلى أن يقول:

تريدين للحرب بترولنا وللنهب والسلب محصولنا
وتلقين نارًا على زيتنا وتشوين بالنار مقتولنا
وتستدفئين على شينا وتستمتعين بتمزيقنا

والمعروف أن إنكلترا, أقدمت سنة ١٩٥٦م بغزو مصر هي وحليفتاها فرنسا وإسرائيل, فيما عرف في حينه بالعدوان الثلاثي. وقد خرج العدوان يومها صاغرًا وهو يجرّ أذيال الخيبة. والشاعر في قصيدته هذه يصبّ جام غضبه على الاستعمار بعامة ويدلّ برؤية خاصة حول فلسفة الصراع بين الشعوب العربية والاستعمار الحديث. ومن هذه القصيدة إلى قصيدته المدوية التي أنشأها في ذكرى الثورة الجمهورية في العراق سنة ١٩٥٨م, التي يقول فيها[١]:

صيحة الشعب في بلاد أشعليها نارًا وثوري وزيدي
ازحفي كالطوفان يا ثورة إلينا و دمدمي كالرعود
طهري جوّنا من الموت وهزي إلينا بقايا اللحود

ولعل أروع ما في ذلك تلك الإشارة الرائعة التي تضمنها البيت الثاني والثالث التي يريد فيها أن تنتقل عدواها إلى اليمن, فيتطهر من

(١) ثورة الشعر: ١١٥.

الموت والصمت. بعد رحيل طاغيته. وعلى السياق نفسه يأتي شعره عن القضية الفلسطينية الذي يقول فيه[1]:

يا فلسطين إن فينا شعورًا لو تجلّى على الحديد لذابا
لا تظنوا أن إذا ما ذهبتم سنرى العيش بعدكم مستطابا
يا فلسطين إن بعدنا فإنا نرسل الروح من بعيد كتابا
هذه مهجتي تذوب نظاما فإليكم مني الفؤاد المذابا

والأبيات دالّة على عمق المشاعر القومية, وعلى متانة الروابط التي تجعل العربي أكثر التحامًا بأخيه العربي. وهي مسألة قلّما خلا منها شاعر معاصر, إذا كان على قدر من الأصالة. والزبيري واحد من أولئك الأعلام الأصلاء الذين ذابوا في قضاياهم الوطنية والقومية. يقول: ((كذلك قدر لي في أثناء محنة مريرة قاسية أن أتصهر وأذوب, وأتحول إلى جهاز إنساني دقيق حساس وأن أخرج من دنيا الناس وأشهد صورهم, وهياكلهم وأطوارهم وأوزانهم, وحتى تحركاتهم في أعماقهم الذاتية في قوالبها الخفية الكامنة في الأغوار قبل أن تخرج إلى سطح الحياة))[2].

(١) ديوان الزبيري: ١٤٢/٢.
(٢) المجاهد الشهيد: ١٤٢.

وفي الختام:

فإن هذه القراءة الجديدة في شعر الزبيري تأتي في السياق, في إطار رحلة بحث دؤوب, توخّى ولا يزال كشف الخبيء من تراث أمة العرب , في عصر كادت تتهضّم الأمة تراثها, وتعفّي على ما فيه من ذخائر. وفي الطريق تبرز لنا القامة اليمانية الشامخة – في وقت مبكر جدًا – ممثلة بالشهيد المرحوم محمد محمود الزبيري الذي جاء شعره دالاً على ذلك الكمون الثوري الذي يكاد يعتلج في الجسد العربي أنّى وجد في مشارق الوطن أو مغاربه. ومعّبرًا عن أصالة فذة, وريادة مبكرة, وفهم واضح, وفعل يرتقي إلى مستوى الفهم, وعطاء ثر, وفعالية دائمة ومستمرة. وهي صفات أهّلته, أن يتبوأ هذه المكانة المرموقة, وأن ينتزع لقب أبي الأحرار انتزاعًا, وأن يكرّم تكريمًا لائقًا كما يكرّم عادة الأبطال التاريخيون, من قادة الشعوب, ومن زعمائهم. وفي التقدير أن شعره امتاز بسمات ثلاث جعلته نموذجًا رائعًا يمكن أن يحتذى. وهذه السمات هي:

الصدق الفني: وقد خلا شعره من المعاظلة والمداورة, أو السفف وجاء متساوقاً في عطائه وبنائه, راقيًا في عبارته, جادّاً في طرحه , متفانيًا في أدائه.

العاطفة الصادقة والمخلصة: وقد كاد يحكي كل حرف من كلماته, وكل حركة من حركاته, أو سكنة من سكناته شخصية تتحرق في أتّون من الغضب اللاهب أو تشوى على سفّود من اللهب المحرق,

وقد ذابت في الجماعة وأصبحت لسان وطن وحال أمّة, تلهج بما تفكر, وتفكر بما تعاني.

الموضوعية الهادفة والمستنيرة: وقد كاد يشكل كل حرف عنده دلالة على معاناة؛ الأمر الذي جعله رجل الرأي والموقف, في كل عطائه وإبداعه. وعليه فإننا بعد رحلة البحث هذه نوصي بقراءته ودراسته ومحاولة فهمه بشكل صحيح, ليس اليوم فحسب؛ وإنما على مدار الأجيال.

المصادر والمراجع

- أعلام الأدب العربي المعاصر: روبرت كامبل, مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر, بيروت, الطبعة الأولى, ١٩٩٦م.
- أوليات النقد الأدبي في اليمن: د.عبد العزيز المقالح.
- ثورة الشعر: محمد محمود الزبيري, دار الكلمة, صنعاء, الطبعة الثانية, ١٩٨٥م.
- ديوان الزبيري: دار العودة, بيروت.
- رحلة في الشعر اليمني: عبد الله البردوني, الطبعة الخامسة.
- الزعيمان الزبيري ونعمان: تحقيق: أحمد عبد الرحمن المعلمي, مطبعة عكرمة, دمشق.
- شعر الزبيري بين النقد وأوهام التكريم: د. رياض القرشي, الطبعة الأولى, القاهرة, ١٩٩٠م.
- صلاة في الجحيم: محمد محمود الزبيري, دار الكلمة صنعاء الطبعة الثانية ١٩٨٥م.
- قضايا يمنية: تأليف: عبد الله البردوني, الطبعة الخامسة, ١٩٩٦م.
- المجاهد الشهيد محمد محمود الزبيري: تأليف: عبد الرحمن طيب بعكر الحضرمي, مكتبة الإرشاد الطبعة الأولى.
- من أول قصيدة إلى آخر طلقة, دراسة في شعر الزبيري: عبد الله البردوني, دار البارودي, بيروت, الطبعة الثالثة, ١٩٩٧م.